التعليق على صحيح البخاري

[الدرس التاسع]

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح عبد الكريم

حفظه الله ورعاه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:-

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

نستأنف الحديث في التعليق على صحيح البخاري من كتاب الإيمان.

[بابٌ أي الإسلام أفضلُ]

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ القُرَشِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ».

هذا الباب الخامس، "**باب أي الإسلام أفضل**" لتقرير أن الإسلام يتفاضل، وقد عرفنا في اللقاء الماضي أن الإيمان يُطلق على الإسلام والإسلام يُطلق على الإيمان، فكون الإسلام يتفاضل أي الإيمان يتفاضل، والتفاضل هو الذي يحدث فيه الزيادة والنقصان، (الزيادة والنقصان)، فبعض الناس أكمل إيماناً من البعض الآخر، وهذا يقتضي زيادة الإيمان عند البعض، ونقصان الإيمان عند البعض الآخر، وهذا مقصود المصنف من هذه الترجمة، ألا وهي الإشارة إلى أن الإيمان يزيد وينقص كما أسلفنا في اللقاء الماضي للرد على المرجئة في هذا الباب الذين يقولون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

هذا الإسناد يرويه البخاري عن شيخه سعيد بن يحيى الكوفي (ثقة) ثم يرويه سعيد عن والده.

"قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي" وهو يحيى بن سعيد، ويلقب بالجمل، وهو أيضاً من الكوفة، ثم يرويه سعيد بن يحيى بن سعيد عن أبو بردة " أبو بردة اسمه بريد" بريد بن عبد الله.

" عَنْ أَبِي بُرْدَةَ" أبو بردة هنا الثاني هو عامر بن عبد الله بن قيس بن الصحابي أبو موسى الأشعري، هنا صحابي الحديث هو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري،

ونلاحظ في هذا الإسناد من الفوائد أنه فيه رواية الأبناء عن الآباء (رواية الأبناء عن الآباء) وهذا مما يعتني به العلماء في لطائف السند إذا كان في الإسناد راوٍ يروي عن والده، هذا فيه رواية الأبناء عن الآباء، لأن سعيد يروي عن والده، وكذا هنا في ذكر أبو بردة، وأيضاً من اللطائف في هذا الإسناد أن الإسناد مسلسلٌ بالكوفيين، كل رجال السند من الكوفة، وهذه أيضاً من لطائف السند، يعني سناد كوفي من أوله إلى آخره، والراوي هنا أبو بردة حصل توافق بين كنيته وكنية جده أبو بردة وأبو بردة.

وفي الحديث أبو موسى الأشعري " قَالَ: قَالُوا" جاء في بعض ألفاظ الحديث "قلنا يا رسول الله"، وجاء في بعض الألفاظ "قلت" ثلاث روايات للحديث (قالوا يا رسول الله، وقلنا يا رسول الله، وقلت يا رسول الله) فبعض الألفاظ يقتصر على نفسه، والبعض الآخر فيها التعميم بصيغة الاختصاص أو العموم (قالوا).

وهنا السؤال: أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟

حصل خلاف بين العلماء في معنى هذا التقدير، ما المقصود بأي الإسلام أفضل؟ فبعض العلماء قال أن المراد الخصال، أي خصال الإسلام أفضل (أي خصال الإسلام أفضل)؟، والبعض قدره بأي ذوي الإسلام أفضل (أي ذوي الإسلام أفضل)؟ يعني أصحاب الإسلام، والتقدير الثاني أقرب، لأنه ذكر هنا الشخص (صفات الشخص وليس العمل).

قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ».

وهذه الجملة سبق أن فصلناها في الرواية السابقة، وبعض الألفاظ للحديث أي الإسلام خير كما سوف يأتي في الرواية التالية، فهذا الحديث الذي أورده هنا البخاري وقد سبق أن شرحناه في اللقاء الماضي هو في تقرير أن الإيمان يزيد وينقص، فمن سلم الناس من أذاه في اللسان واليد هذا فيه علامة على زيادة الإيمان وعلو الإيمان، ومن لم يسلم الناس من لسانه ويده فيه علامة على نقصان الإيمان، ففيه تقرير لهذا الأصل.

[بابٌ إطعام الطعام من الإسلام]

قال حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

هذا الحديث أيضاً فيه ذكر مسألة التفاضل "أي الإسلام خير"، وفيه الإشارة إلى شعب الإيمان، المصنف في بداية أبواب الإيمان ذكر النصوص التي تشير إلى أن الإيمان شعب، ثم ذكر بعض أفراد هذه الشعب، يعني سيذكر محبة النبي ﷺ ، قيام الليل، إطعام الطعام، هذه كلها مفردات وشعب للإيمان ليقرر أن الإيمان أعمال وشعب وفروع، وهذا يعني فيه مقصدٌ عقدي واضح، وهذا الحديث شيخ البخاري فيه (عمرو بن خالد بن سعيد المصري ثقة يرويه عن الليث (سبق أن أشرنا إلى الليث بن سعد حافظ مصر).

" **عَنْ يَزِيدَ**" يزيد هنا بن أبي حبيب، يزيد بن سويد المصري (ثقةٌ) أيضاً.

وأبو الخير " **عَنْ أَبِي الخَيْرِ**" هو مرفد (مرفد بن عبد الله) أيضاً من حفاظ مصر.

" **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** " صحابي معروف وهنا في هذا الإسناد إبهام، والإبهام هو الشخص الذي لم يذكر، ففيه أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، رجلاً لم يسمى هذا الرجل، وهذا الإبهام لا يضر لأنه من قبيل إبهام المتن وفي نهاية السند، فالإبهام إذا كان في الصحابة فإنه لا يضر لأن الصحابة كلهم عدولٌ ثقات لا يضرنا معرفة من هو، وأحياناً الإبهام يكون في بداية الحديث أو في وسط الحديث مثل "قامت امرأةٌ"، أو يتكلم النبي ﷺ "فسأل رجل" هذا كله مبهم، والعلماء يعتنون في علم الحديث ببيان هذا الشخص المبهم، فذكر بعض الحفاظ أن المبهم في هذا السند هو أبو ذر (أبو ذر) هو الذي سأل النبي ﷺ ، وقيل هانئ بن يزيد (هانئ بن يزيد)، خلاف هل السائل أبو ذر أو هانئ بن يزيد، إذاً هذا من قبيل الإبهام المعروف عند العلماء.

وهنا جاء السؤال " أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ"؟

(أي الإسلام خير) وفي الحديث(أي الإسلام أفضل)، فقال بعض أهل العلم أن السؤال عن الفضل يختلف عن السؤال عن الخير، وقال البعض أن هناك تلازم بين الأمرين، بين صيغة خير، وبين صيغة أفضل في الحديث، والعلماء يحملون هذا التنوع في

الإجابات على اختلاف حال السائل (**على اختلاف حال السائل**) وهذا الأقرب في مثل هذا الاختلاف، يعني في كثير من الأحاديث يُسأل النبي ﷺ نفس السؤال، فيجيب شخص بجواب مختلف ويجيب الشخص الآخر بجواب مختلف، السبب مراعاة حال السائل، أحياناً السائل قد يحتاج إلى ترهيب (تخويف من شيء) فيستخدم النبي ﷺ ويشير إلى جانب الترهيب، أحياناً السائل قد يحتاج إلى ترغيب فيذكر له النبي ﷺ الترغيب، وهذا كثير فيما كان النبي ﷺ يُسأل من أفضل الناس؟ من خير الناس؟ ما أفضل الإسلام؟ ما أفضل العمل؟ كثير في السنة يكون السؤال متحد لكن إجابة النبي ﷺ مختلفة، وهذا الاختلاف يُحمل على هذا المعنى أن الإجابات باختلاف السائلين للنبي ﷺ .

هنا قال: " تُطْعِمُ الطَّعَامَ".

وتطعم الطعام هذا فيه عموم يدخل يعني سائر صور الإطعام من الضيافة وغيرها، وأنه كان يمكن أن يستخدم عبارات أخرى، لكن الإتيان بالطعام هنا بهذه الصيغة بالألف واللام يفيد دخول سائر صور الإطعام فيكون أوسع.

قال: " وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ" (بعض الألفاظ بالكسر وبعضها بالفتح، كسر وفتح الراء) وهذا فيه التحذير من تخصيص السلام على جهة التكبر والتفريق بين الناس، إذ الأصل عموم إلقاء السلام، وهذا فيه الحض على افشاء السلام، وهل يُفهم منه جواز السلام على الكافر لأن الصيغة صيغة عموم؟

" وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

فقالوا أن هذه الصيغة تحتمل دخول الكافر، لأنها صيغة عامة، تقرأ السلام على من عرفت سواء كان مسلماً أم كافر، لكن يُقال أن هذا الحديث عام، وأحاديث النهى عن السلام على الكافر أحاديث خاصة فيُحمل العام على الخاص (يُحمل العام على الخاص)، فيخرج الكافر من هذا العموم بالنصوص الأخرى التي جاءت في هذا الباب، وفيه أيضاً من الفوائد أن هذا الأمر وهو سلام المعرفة من علامات الساعة ويسمى سلام الخاصة، أن يسلم الإنسان فقط على من يعرف دون البقية.

وأيضاً من الفوائد اللطيفة في هذا الحديث قوله " تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ".

قال العلماء: لماذا نص النبي ﷺ على هذين الفعلين (فعل الإطعام وفعل السلام)؟

قالوا لأنه يجمع بين الأمرين القول والفعل (القول والفعل)، فإطعام الطعام فعل، وإلقاء السلام قول، فجمع صورتين صورة القول والفعل، وهي إشارة إلى البقية، فإطعام الطعام فعل وفيه إشارة إلى بقية الأفعال التي تدخل في الإيمان، وإقراء السلام قول وفيه إشارة إل بقية الأقوال، وهذا فيه مفهوم الإيمان الذي ذكرناه أنه قولٌ وفعل.

ثم بعد ذلك بوب الإمام البخاري بابٌ "من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

[بابٌ من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه]

قال البخاري حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ حُسَيْنٍ المُعَلِّمِ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

هذا الحديث أيضاً كان من الأحاديث السابقة ذكر أحد فروع الإيمان وشعب الإيمان وهو أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهي المحبة وهي من أعمال القلوب، وهذا فيه إشارة إلى دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وطريقة البخاري أنه يغاير بين العناوين بطريقة لا يحدث فيها تكرار، يعني لو نلاحظ هذا الباب السابع "باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، الباب اللي بعده مباشرة "باب حب الرسول ﷺ من الإيمان"، فأخر الإيمان في الباب الذي بعده، وقدم الإيمان في هذا الباب فهو تنويع من الإمام البخاري في العبارة، وقد أشرنا يعني في المقدمة أن البخاري يحرص على التنويع في الأسانيد والتنويع في المتون من جهة التقطيع والمعلقات وأيضاً التنويع في التراجم، هذا سار عليه الإمام البخاري، وهذا الحديث الإمام البخاري يرويه من عن طريق إسنادين (الإسناد الأول مسدد عن يحيى عن شعبة عن قتادة) والثاني عن حسين المعلم عن قتادة و لم يستخدم البخاري التحويل، طريقة البخاري أحياناً يعطف وأحياناً يستخدم التحويل، التحويل التي مرت معنا في اللقاءات الماضية.

الراوي الأول شيخ البخاري هو مسدد بن مسرهد بن مسربل، ودائماً يطرفون به العلماء الحديث لأن اسمه غريب جداً يعني مسدد بن مسرهد بن مسربل بن مستورد بن مغربل الأسدي، فقالوا هذه رقية يعني لأن الطريقة جاية في الاسم غريبة جداً، من الأسماء الغريبة، وهو من الحفاظ المعروفين.

والراوي الثاني يحيى، البخاري إذا أطلق يحيى فهو يقصد يحيى بن سعيد القطان الإمام المعروف، عن شعبة، شعبة مضى معنا شعبة بن الحجاج أبو بسطام أمير المؤمنين في الحديث، عن قتادة وهو من التابعين، عن أنس وهنا الحسين (الحسين المعلم) وهو الحسين بن ذكوان، وجاءت رواية عند الإسماعيلي، رواية توضح بعض ألفاظ هذا الحديث "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير".

فهذه الرواية عند الإسماعيلي توضح من هو الذي يُحب، وما الذي يعني يُحب له، هل يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الشر؟ من الدنيا؟ من المعاصي؟ أم هو مقيد بالخير؟ هذا في رواية الإسماعيلي تدل على الخيرية.

وهنا في هذا الحديث نفي الإيمان المراد به كمال الإيمان (كمال الإيمان)، لا يؤمن أحدكم إيماناً كاملاً (إيماناً كاملاً)، وهذا الفرق بين أهل السنة والخوارج، الخوارج ينفون أصل الإيمان (ينفون أصل الإيمان) لما تأتي مثل هذه الأحاديث "لا يؤمن" ينفون عن الشخص الإيمان أصلاً، ويطلقون عليه الكفر، أما أهل السنة فيحملونه على كمال الإيمان، أي يُنف عنه كمال الإيمان، لا يكون إيمانه كاملاً، ينقص بقدر النقص في خصال الخير.

وهذه المحبة " **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ** " هذه المحبة محبة اختيارية (محبة اختيارية)، لأن المحبة عند العلماء في الشرع محبة طبيعية، ومحبة اختيارية، **الطبيعية** هي التي يُفطر عليها الإنسان مثل محبة الشخص لوالده، ومحبة الوالد لولده، محبة من أحسن إليك، هذه محبة طبيعية تنشأ في الإنسان فطرةً وطبعاً.

وهناك المحبة الاختيارية وهي التي يُقدم عليها الإنسان باختياره ليست من قبيل الجبلة.

" **حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**".

قال العلماء هذا يفيد المساواة (يفيد المساواة) يعني المساواة في المحبة، يعني كما تحب هذا الشيء لنفسك تحبه للآخر تماماً، وهذه هي علامة المحبة الصادقة، إذا كان الإنسان يحب شخص في الله ﷻ يحب له هذا الخير الذي حصل له، حصل له فضل، دراسة، تعلم، شيء، كما يحبه لنفسه يحبه لغيره على وجه التساوي.

وهذا الحديث أيضاً كما أن له منطوق فإن له مفهوم، مفهوم المخالفة، يعني كما نقول "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" كذلك على وجه المقابلة في مفهوم المخالفة "حتى يُبغض لأخيه ما يُبغض لنفسه"، كما أنه يُبغض لنفسه بعض الأشياء أيضاً يُبغضها لإخوانه، يُبغض لنفسه الشر يُبغض هذا الشر لإخوانه، ففيه الوجهين، كما أنه يحب لنفسه الخير يحبه للآخرين، يُبغض الشر لنفسه يُبغضه للآخرين، هذا بمفهوم المخالفة.

[بابٌ حب الرسول ﷺ من الإيمان]

قال حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ».

قال حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح وحَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

طبعاً أورد الحديث بروايتين مختلفتين، الرواية الثانية فيها تتمة فائدة، ولذلك أوردها البخاري على وجه الاستقلال.

هذا الباب باب حب الرسول، والألف واللام في الرسول للعهد والمقصود به النبي ﷺ ، لأن كلمة الرسول بالألف واللام تفيد العموم في لغة العرب، ولكن هنا الألف واللام ليست للجنس وإن كان الإنسان مطالباً بمحبة كل الرسل، لكن هذا الباب خاص بالنبي ﷺ للدلالة عليه، وهذا التبويب أيضاً لماذا أتى البخاري بهذا التبويب؟ ليبين أن

الإيمان على شعب (أن الإيمان على شعب) لأن حب الرسول ﷺ أحد شعب الإيمان، أحد شعب الإيمان هو محبة الرسول ﷺ ، وهذا كله كما قلنا تقرير المقصد العام الذي أراده البخاري – رحمه الله – من الرد على المرجئة الذين يقولون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الإيمان لا يتفاضل.

وهذا الحديث بدأ فيه البخاري بشيخه أبو اليمان الحكم بن نافع (الحكم بن نافع)، والحكم بن نافع يروي عن شعيب وهو شعيب بن دينار (شعيب بن دينار)، وشعيب يروي عن أبي الزناد (أبو الزناد هو عبد الله بن ذكوان) عبد الله بن ذكوان، وهو من الحفاظ وأيضاً يلقب بأمير المؤمنين في الحديث(حافظ متقن)، وأبو الزناد يرويه عن الأعرج (الأعرج هو عبد الرحمن بن هرمز) عبد الرحمن بن هرمز، وهو قد جمع عدة علوم، يعتبر لغوي ومقرئ ومحدث، عالم بالقراءات وعالم باللغة وعالم بالحديث.

وهذا الإسناد بهذه الطريقة في النهاية هو من أصح الأسانيد عن أبي هريرة (أصح الأسانيد عن أبي هريرة)، يعني رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة هذه من أصح الأسانيد عن أبي هريرة، طبعاً هذه مسألة من مسائل علم المصطلح، هل يُطلق (أصح الأسانيد) فاختلف العلماء، الصحيح أنه لا يُطلق إلا مقيداً (مقيداً بالبلدان أو مقيداً بالرواة) يعني نستطيع أن نقول أصح الأسانيد عن أهل البصرة كذا، أصح الأسانيد عن أهل الشام كذا، ونستطيع أن نقول أصح الأسانيد عن أحد الرواة مثل ابن عمر، قالوا أصح الأسانيد عن ابن عمر (مالك عن نافع عن بن عمر)، وكذلك هنا أصح الأسانيد عن أبي هريرة هو (رواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة) فهذه أصحية مقيدة، وهذه من الصناعة الحديثية عند البخاري، البخاري طريقته في الأسانيد أنه يحرص على الإتيان بالأسانيد التي أطلقت عليها أصح الأسانيد، يعني يتحرى البخاري، إذا أُطلق على هذا الإسناد أصح الأسانيد فإنه يحرص على إيراده ولذلك يُكثر كما سوف يأتينا إن شاء الله تباعاً الإيراد عن أبي هريرة بهذا الإسناد لأنه أصح الأسانيد عنه.

والإسناد الثاني فيه يعقوب بن كثير، أو يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن مزاحم، وفيه أيضاً عبد العزيز بن صهيب (مصريٌ ثقة)، وفيه إسماعيل بن عُلية (الذي أورده بقوله

حدثنا بن عُلية) وهو إسماعيل بن إبراهيم بن عُلية، والذي بعده عبد العزيز بن صهيب، ومضى معنا آدم بن أبي إياس في باب "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

هذا الحديث قال فيه: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ".

بدايةً هذا الحديث فيه اسلوب القسم " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ"، الواو من حروف القسم (الواو والباء والتاء)مما يُقسم به الإنسان (والله، بالله، تالله)من صيغ القسم، فهنا " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ"، وهذه مسألة تسمى عند العلماء الحلف من غير استحلاف (الحلف من غير استحلاف)، الأصل في الحلف عدم الإكثار، والأصل في الإيمان الحفظ ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾[المائدة:89]

وقد ذم الله ﷻ الحلاف (أي من يحلف من غير سبب أو من غير فائدة أو على الكذب) فالأصل أن الإكثار من الحلف مكروه، والإنسان الأصل أن يحفظ الحلف.

فهنا حلف النبي ﷺ من غير استحلاف، العلماء يقولون الحلف من غير استحلاف (استحلاف يعني أن يطلب منك أحداً أن تحلف)، يختلف لو طلب منك القاضي أن تحلف لو كانت هناك منازعة، خصومة وأحد قال لك احلف، في هذا الموطن الإنسان يحلف لأنه يُستحلف يعني يُطلب منه أن يحلف، لكن هل يحلف الإنسان ابتداءً من غير طلب؟

هنا النبي ﷺ حلف من غير طلب ابتداءً، هذا يجوز في بعض الأحوال (يجوز في بعض الأحوال) منها تقرير الأهمية إذا كان الشيء مهماً ويحتاج إلى تأكيد فإنه يحلف على هذا الأمر، وأيضاً إذا كان في مقام الإنكار﴿ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[التغابن:7]

يعني في مقام يناقش من في شك (إي والله وغيرها من الآيات)، يعني يكون هناك قسم في مقابل شخص يشك في كلامك فأنت تقسم له، أو شخص منكر أصلاً لأصل كلامك فهذا أنت تقسم له، أو تريد التأكيد والأهمية فتقسم، وإلا الأصل فإن الإنسان يحفظ هذا اليمين ولا يتوسع فيه.

قال: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ".

هذا على التفصيل السابق الذي ذكرناه من أنه لا يؤمن إيماناً كاملاً، حتى أكون أحب إليه وهذا فيه وجوب محبة النبي ﷺ (وجوب محبة النبي ﷺ)، وهذه المحبة أيضاً من المحاب الاختيارية (من المحاب الاختيارية) وليست من المحاب الطبيعية، وهنا قدم ذكر الوالد حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ" لماذا؟ قالوا لأن الوالد أهم، ولأن الوالد هو السبب بوجود الولد، وقالوا لأن الوالد يتقدم الولد في الزمان، وقالوا للشيوع لأن الأغلب أن الشخص يكون له والد، ولا يلزم أن كل والد أو أب يكون له ولد، فهذا سر تقديم الوالد على الولد، ثم حصل خلاف بين العلماء هل لفظة الوالد هنا يدخل فيها الوالدة؟ قالوا إذا قُصِد من له الولد نعم يدخل فإن الوالدة لها الولد مع الوالد، وأما بنفس هذه العبارة قالوا لا إنما هو يعني الإيراد للأشهر أو الأكثر يعني إيراد الوالد فيدخل الوالدة على وجه التبع في هذا الحديث.

في الرواية الأخرى " مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، قالوا هذا التقديم على سائر أنواع المحبة الطبيعية، قالوا المحبة الطبيعية التي تكون جبلة في الإنسان ثلاثة أنواع:

1. محبة تعظيم.
2. محبة اشفاق.
3. محبة أُنس (إيناس).

قالوا هذه الثلاثة مذكورة في هذا الحديث، فإن الإنسان يحب والده تعظيماً ويحب ولده شفقة ويحب الناس من باب الأنس (إيناساً بهم) فقدم محبة الرسول ﷺ على سائر المحاب الفطرية التي تكون عند الإنسان، يقدم محبة النبي ﷺ على محبة التعظيم ومحبة الإشفاق ومحبة الإيناس، وعطف الناس في الحديث على ذكر الوالد والولد من باب عطف العام على الخاص (العام على الخاص)، لأن الولد والوالد من الناس ولكن خص بدايةً ذكر الوالد والولد للأهمية ثم ذكر الناس، والناس مصطلح عام يدخل فيه الوالد والولد، وهذا كثير أن يحصل العطف بالصورتين (العام على الخاص والخاص على العام).

إذاً ذكرنا فيه تقديم محبة الرسول ﷺ على سائر أنواع المحاب (محبة التعظيم والاشفاق ومحبة الإيناس)، وهذا الحديث قال فيه العلماء فيه إشارة إلى أن هذه المحبة متفاوتة بين الناس، يعني محبة النبي ﷺ في قلوب الناس على تفاوت، وهذا أصل في تقرير هذا التفاوت أنه من الإيمان يتفاوت بين الناس.

ثم هنا من الفوائد قد يسأل الإنسان كيف يحقق الإنسان محبة النبي ﷺ (كيف يحقق الإنسان محبة النبي ﷺ) يقول الشيخ بن عثيمين – رحمه الله – السبيل لتحقيق محبة النبي ﷺ هو استحضار المتابعة في الأعمال وفي الأخلاق، يعني إذا فعل الإنسان الطاعات يستحضر متابعة النبي ﷺ ، في صلاتك أن تكون على صلاة النبي ﷺ ، في وضوئك، في حجك، في سائر عباداتك تستحضر أنك تفعل هذا الفعل على وفق ما فعله النبي ﷺ ، كذلك الأخلاق، كذلك التعاملات.

أيضاً من الفوائد المتعلقة بهذا الحديث ما هي علامات محبة النبي ﷺ (ما هي علامات محبة النبي ﷺ)؟

العلماء ذكروا جملة من العلامات في شرح هذا الحديث منها وعلى رأسها كما ذكر القاضي عياض أن يقدم أمر النبي ﷺ على محاب النفس (محاب النفس) أحياناً يتعارض لديك أمر النبي ﷺ وبعض شهوات النفس (بعض الأمور التي أنت ترغبها وتشتهيها) فهنا عند هذا التعارض، هذا ميزان يوزن لديك هذه المحبة، هل تقدم أمر النبي ﷺ وتترك محاب النفس؟ أم تقدم محاب النفس وأهواء النفس على محبة النبي ﷺ؟

وأيضاً من العلامات التضحية لأجل النبي ﷺ حتى بالنفس، وهذا كان في صحابة النبي ﷺ كانوا في المعارك كانوا يفتدون النبي ﷺ بأنفسهم.

ثم أيضاً من العلامات التي ذكرها العلماء الذَّب عن سنته (الدفاع عن سنة النبي ﷺ)، وأيضاً نشر سنته (نشر سنته)، وأيضاً قمع المخالف لسنته أي الأهواء والمبتدعة لأنها قضية طردية يعني كلما انتشرت البدع قلت السنن، وكلما انتشرت السنن قلت البدع، فقمع المعاند المخالف للنبي ﷺ (أهل الأهواء والبدع) علامة من علامات محبة النبي ﷺ .

لعلنا نقتصر على هذا القدر، أسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وجزاكم الله خيراً.